كورونا وازدواجية الأقطاب الدولية

◄ د. م. نـادر ريـاض

توقفت طويلاً أمـام تعبير الجائحة والذى استجد فى وصف وباء كورونا،إذ إن الجائحة فى معناها اللغوى يحمل معنى الأعاصير والظواهر الطبيعية التى لا قبل للإنسان على مواجهتها كالبراكين والفيضانات وما سمى مؤخراً تسونامى بمعنى اجتياح البحار والمحيطات للبابسة مدمراً كل شيء فى طريقه. ولدهشتى البالغة تيقنت من أن مسمى الجائحة هذا رغم ما يحمله من معان هوجاء واسعة المدى إلا أنه فى الحقيقة يعبر عن حقبة حدوث الوباء وما بعده من تداعيات دولية يبقى أثرها لما بعد زوال الجائحة . فإذا طوينا صفحة الخسائر والكلفة المادية التى ستنجم عالمياً نتيجة للركود والتباطؤ الذى سيترك بصماته من تراجع للاقتصاديات الدولية وأثر ذلك من نقص للسلع الأساسية وانفلات للأسعار ونتيجة لهذا من تآكل للطبقة المتوسطة وتضخم للطبقات الفقيرة، وهو أمر ستتناوله الأقلام باستضافة . ما يعنينا فى هذا الشأن هو أن أزمة الجائحة «كورونا» قد أفرزت وضعاً جديداً آخذاً فى التبلور ليصنع واقعاً جديداً يفرض نفسه على العالم على ثلاثة محاور رئيسية : أولاً : الكتلة الصينية الجنوب / شرق آسيوية الهند و روسيا: لا شك أن الاقتصاد الصينى آخذ فى التبلور ليصبح الاقتصاد الأول حجماً على المستوى العالمي،وأنه بحلول ٢٠٣٠ سيتعدى حجمه ضعف اقتصاد الولايات المتحدة التى سيتدنى تصنيفها ليصبح فى المرتبة الثالثة بعد أن تحل الهند محل الولايات المتحدة كثانى اقتصاد عالمي.هذا التكتل سيشكل قوة جذب كبيرة لكيانات دولية أخرى لا يستهان بها مثل روسيا وبعض الدول الشرق آسيوية . ثانيا : الكتلة الأمريكية / البريطانية / كندا و دول من أمريكا الجنوبية: لا شك أن هذا التكتل يرتبط بعضه البعض لأسباب تاريخية وجغرافية وتراثية مترسخة،مثال ذلك أن الأنجلوساكسونية هى التى أرست قواعد نشأة وتطور الحكم ونظامه فى الولايات المتحدة والتى حكمت اختيار الرؤساء فيها منذ نشأتها وحتى الآن باستثناء اختيار أوباما لأسباب ليس هذا مجال الخوض فيها . هذا التكتل بكل ما له من مقومات اقتصادية وسياسية وعسكرية بات لا يملك أدوات المنافسة الاقتصادية بالقدر الذى يمكنه من التكافؤ والوصول لدرجة مناسبة من الندية تسمح له بفرض الإرادة ومواجهة ما يتهدده من فقدان للمكاسب الاقتصادية التى حققها كنتيجة للحرب العالمية الثانية ومنها،وضع الدولار كعملة موحدة وحاكمة لأسواق البترول والغاز والمعادن الثمينة مثل الذهب والفضة والبلاتين ناهيك عن سوق الماس. ويعلم الجميع أن فى تعددية العملات المتداولة مقابل السلع الأساسية السابق ذكرها انهيارا لعرش الدولار، وبالتالى تصدع الاقتصاد الأمريكى إذ أنه قائم على السحب على المكشوف اعتماداً على الطلب المتزايد والمستمر على الدولار عالمياً . ثالثاً : كتلة الاتحاد الأوروبى بأعضائه المتمثلة فى ٢٧ دولة: لاشك أن هذا التكتل بحجمه وأدائه سيصبح منطقة جذب وتنافس بين كتلتى الصين وتوابعها والكتلة الأمريكية وتوابعها،فإذا نظرنا لحجم التجارة فى ضوء مد الصين لأربعة خطوط قطارات سريعة للركاب والبضائع جيئة وذهاباً عبوراً لجميع الدول وصولاً لأوروبا بالكامل باسطة بذلك معانى ومبادئ حرية التجارة وانتقال البضائع والخدمات عبر الدول دون قيود،ناهيك عن حجم التجارة والمصالح المتبادلة بين الكتلة الأوروبية فى اتجاه الشرق ومقارنتها بالاتجاه غرباً . وإذا نظرنا بعين الاعتبار لما عانته أوروبا وتعانيه من تعنت للسياسة الأمريكية من فرض عقوبات على دول مثل روسيا وإيران دون الالتفات لمصالح وسياسات الاتحاد الأوروبى تجاه هذه الدول،وعسكرياً للعنت الذى فرضته الولايات المتحدة على سياسة حلف الناتو بما فرض على دوله المشاركة فى حروب لا ناقة لها فيها ولا جمل. مما سبق فإنه من الواضح بجلاء أن التوجه الأوروبى فى المرحلة القادمة سيكون متأرجحاً بين التوجه شرقاً أو غرباً فإذا اختار الاستقلال بإرادته الحرة واتجه شرقاً وهو ما يتماشى مع مصالحه الاقتصادية فان هذا سيعجل بانهيار الكتلة الأمريكية/ الأنجلوساكسونية،أما إذا غلب النفوذ الأمريكى على إرادته الحرة فان هذا الأمر فى واقع الحال لن يساعد الكتلة الأمريكية /الأنجلوساكسونية على الخروج من أزمتها، وإنما سيؤجل من انهيارها لبضع سنوات مع مشاركته مالياً فى تبعات هذا الانهيار مما سيزيد من ضعف الكتلة الأوروبية اقتصادياً. أما نحن فى مصر فعلينا أن نحافظ على معدلات نمونا الاقتصادى ودعم صناعتنا الوطنية والاستعداد للثورة الصناعية الثالثة والتى قوامها الثورة الرقمية،فلنتوسع فى إتاحة علوم الحاسب الآلى بكل توجهاته الحديثة للشباب،إذ إن الاستثمارات الخارجية لن تستهدف الاستثمار فى الدول مهما تكن مزاياها الاستيعابية للسلع فى غيبة منصة قوية وقادرة للعلوم الرقمية المتوافرة فى شباب تلك الدول- كل هذا مع الحرص كل الحرص على عدم جرنا لصراعات عسكرية تورط الدولة المصرية وتدمر اقتصادياتها المتنامية، ولنا فى مؤامرة تدمير القوة العسكرية للعراق كل العظة. حما الله مصر من جائحة كورونا وما بعدها وهو الأهم.

■ رئيس مجلس الأعمال المصرى الألماني
www.naderriad.com